الصباح الإسلامية
09
العدد 1378 - السنة الخامسة
الجمعة 19 ذو القعدة 1433 - الموافق 5 اكتوبر 2012
Friday 5 October 2012 - No.1378- 5th Year

أحد الأركان الخمسة للإسلام التي توثق قيماً فاضلة وتزرعها في الإنسان

تشريع الحج.. منافع دينية وأخرى دنيوية

الحجاج يجددون عهودهم مع الله ويتمثلون المنافع الدنيوية والدينية

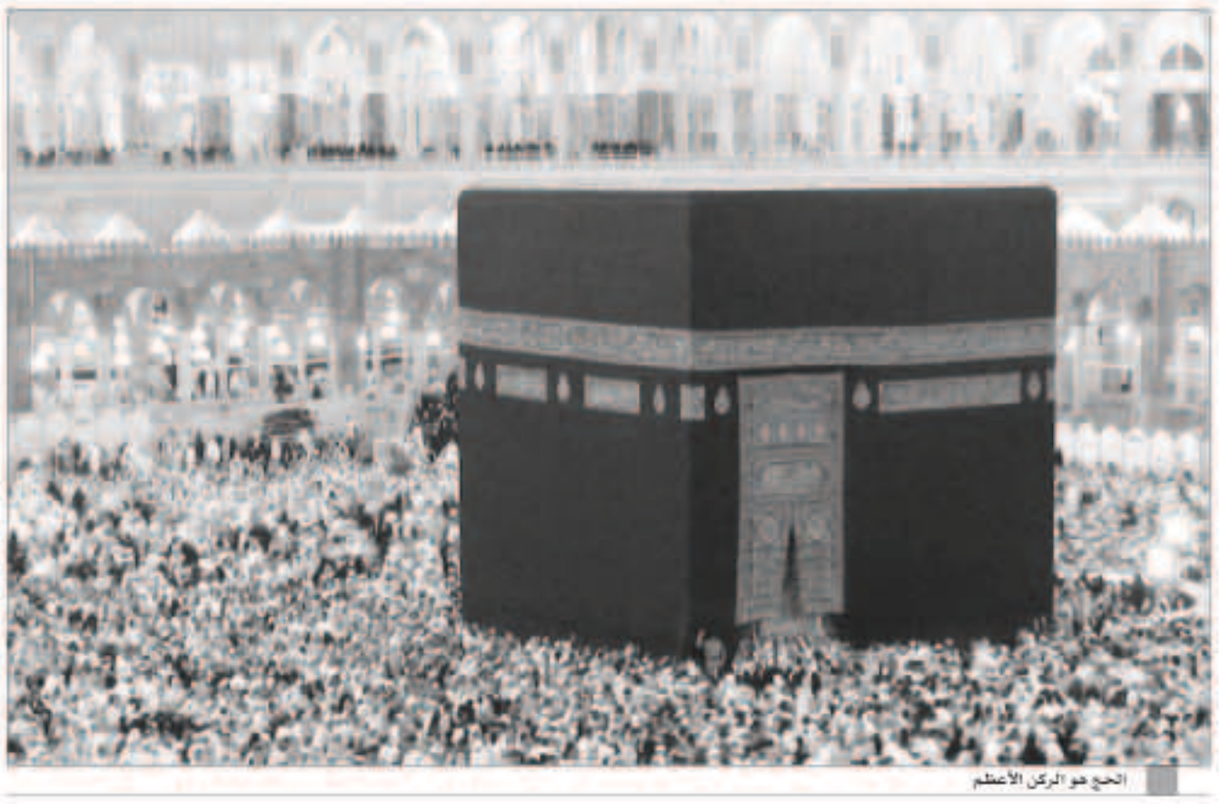
الحج هو الركن الأعظم

الحج يوثق العلاقة بين المؤمن ورب العزة ويجدد الميثاق

حينما يؤدي الحاج مناسكه يستشعر أنه في معية الله وفي بيته

الفريضة تذكير صريح بموقف الحشر... يوم لا ينفع مال ولا بنون

لا يخفى على وجدان كل مسلم ما للحج من اهمية قصوى وصولا إلى مرضاة الله.

اولا: انه ركن من أركان الإسلام؛وركن الشيء هو جانبه الأقوى وهذا هو الثابت من حديثه صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسولا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا». ومن ثم فالحج احد تلك الأركان الخمسة التي ينبني عليها الإسلام.

ما اثر الحج في علاقة الانسان بربه؟

ثانيا: الحج يوثق العلاقة بين الحاج وبين رب العزة ذلك ان الحج حينما يؤدي شعائر الحج يستشعر انه في معية الله في بيته في هذه الأثناء تمحى له سجلات سيئاته وترفع عنه اوزاره وبطبيعة الحال لو ان إنسانا اكرم آخر فان الذي وقع عليه الكرم يحاول ان يتقرب الى من اكرمه ليزيد في كرمه فما بالك إذا كان هذا الكرم من رب العباد جل في علاه فلذا فان المسلم الصادق في حجه تراه بعد الحج أصبح شخصا جديدا في تصرفاته مع الآخرين في معاملاته لانه يستشعر بعظم ما من الله عليه من فضل ولا يريد ان يضيعه.

ولماذا يتجرد الحجاج من زينة الحياة الدنيا؟

ذلك حينما يرى الحاج جموع الحجيج يؤدون مناسك الحج متكاتفين بعضهم مع بعض فانه يتذكر موقف الحشر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم ومن ثم فإنه يعمد إلى ان يعد العدة لهذا اليوم فهو اليوم في وقت السعة ولربما استطاع ان يستدرك معاصيه في الدنيا فاتى له ذلك في الآخرة خاصة وان الجميع يقف حفاة عراة ليكون هذا اليوم اشبه بيوم الحشر.

وما علاقة الحج بالسلوك؟

ذلك ان الحج يعلم علم اليقين انه حتى يصح منه الحج عليه ان يترك مساوئ الأخلاق فهو يعين على الصبر والتواضع واللين والامتناع عن الكذب وحسن الخلق والكرم والتعاون والعمل الجماعي المنظم وترك الخصومات والغيبة والنميمة.

كذلك فان الحاج يتعود على هجر الرفث وهو اسم يطلق على كل كلام فيه لغو أو همز أو لمز ويترك أيضا الفسوق وهو اسم لكل معصية ترتكب وقد نهى عنها رب العزة سبحانه وتعالى ويهجر الجدال وهو كثرة المراء والفجور في الخصومة.

وما اهمية الحج في تعارف الإنسان باخيه الانسان؟

ذلك لأننا مهما بذلنا من جهد فإننا لن نتمكن من حشد هذا الكم الهائل الضخم من شتى دول العالم على اختلاف ثقافاتهم ولغاتهم وتوجهاتهم إلا في أثناء فترة الحج.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا».

فليس من المفترض من كل جماعة من ابناء الأمة الإسلامية ان تظل منغلقة على نفسها وإنما المفترض ان يتعارف اصحاب المهن واللغات والثقافات المختلفة بعضهم على بعض وصولا إلى انتشار كل جديد ومثمر وبناء بين الأمة بأكملها، ولن يجد المسلمون مكانا افضل من الذي تؤدى فيه شعائر الحج لحل ما بينهم من خلافات ونبذ ما بينهم من فرقة ارهقت الأمة لسنوات طوال وكانت سببا في تمكن اعدائها منها.

ما اهمية الحج في تحقيق المساواة؟

فالملك والرئيس والخادم وما بينهما كل يقف أمام الله عز وجل في رداء واحد وثياب واحدة ومكان واحد لممارسة شعائر واحدة الكل هنا سواسية.

قال تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» فالعبرة إذا بالتقوى وليس بغيرها من منصب او جاه او ما مائل ذلك والله عليم بما في النوايا خبير بصدق الأعمال.

وما اثر الحج في تحقيق المنافع؟

وهذه المنافع متعددة منها المنافع الدينية والمنافع الدنيوية كالتجارة مثلا والتسوق لان الناس حينما يجتمعون ويتعارفون يتعاونون فيما بينهم في تبادل السلع فيحققون السوق المشتركة التي يكون لها اثرها البناء في تعاون المجتمع الاسلامي في شتى بقاع الارض شتى بشرط عدم الانشغال عن مناسك الحج والانصراف الى تلك المنافع لان الأصل في الحج إتيان المناسك على الوجه.

من الضروري أن تكون الكلمة الطيبة الوسيلة الأساسية في تحقيق هذا المبدأ

التسامح في الإسلام.. «ادفع بالتي هي أحسن»

الدعوة الإسلامية أرادت السمو بالإنسان إلى ملكوت الله تعالى والأنس بجواره

التسامح من أعظم السمات الحميدة في الإنسان

أمر الله الناس بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلتهم بالحسنى

ثمة مداخل منهجية عديدة لتوضيح مفهوم التسامح في المنظور الإسلامي، إلا أن من اهم هذه المداخل هي تلك المرتبطة بطبيعة الإسلام وتشريعاته ونظمه.. إذ لا يمكننا منهجيا أن نتصور تشريعات الإسلام وأحكامه ونظمه بكل مستوياتها، بعيدا عن حقيقة التسامح التي تحتضنها كل قيم وتشريعات الإسلام.. ووجود مفارقة صارخة على هذا الصعيد بين قيم الإسلام ومثله وواقع المسلمين المليء بالكثير من المظاهر والحقائق المضادة لمفهوم التسامح يدفعنا إلى الإصرار على أهمية اكتشاف رؤية الإسلام لمفهوم التسامح، من داخل قيمه ومن الطبيعة التشريعية والقانونية التي تمثلها قيم الإسلام ونظمه الأساسية.

ففي الإسلام تعتبر الكلمة اول شيء آخر شيء في الدعوة، ذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى لما كان الهدف من إيصال الحق إلى القلوب، ليستقر فيها ويحرك الإنسان باتجاه الفضيلة، فإن من الضروري أن تكون الكلمة الوسيلة الأساس في تحقيق هذا الهدف، بسبب مافيها من رؤية ولين وقدرة على الإقناع، وبسبب ما تحققه من ضمانة الثبات والتمكن لأفكارها في القلوب والسلوك.. وهذا السياق هو الذي تؤكده الآيات الكريمة بوصفه الميزة التي اختصت بها الدعوة الإسلامية، التي أرادت السمو بالإنسان إلى ملكوت الله تعالى والأنس بجواره.

فيقول تبارك وتعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن».. «سورة النحل، الآية 125».. والموعظة الحسنة على حد تعبير بعض المفسرين هي: التي تدخل القلب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية.. فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب.. والدعوة إلى سلوك الطريق الأحسن في مقام الجدل والصراع الفكري، هي دعوة قرآنية تخاطب كل مجال من مجالات الصراع في الحياة وتتصل بكل علاقة من علاقات الإنسان باخيه الإنسان في مجالات الصرع.. إنها دعوة الله إلى الإنسان في قوله تعالى، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم».. «سورة فصلت، الآية 34».. وقوله «وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا»..

هذه الدعوة الصافية التي توحي للإنسان في كل زمان ومكان، أن مهمته في الحياة هي أن يثير في الإنسانية عوامل الخير ويلتقي بها في عملية استثارة واستثمار، بدلا من عوامل الشر التي تهدم ولا تبني وتضر ولا تنفع وتدفعه في الوقت نفسه إلى أن يجعل اختيار الأحسن في كل شيء وفي كل جانب من حياته شعاره الذي يرفعه في كل مكان وزمان.

وإن القوة مهما كانت درجتها لن تنسجم مع طبيعة الرسالة الإسلامية، مادامت القوة تعني محاصرة العقل وفرض الفكرة عليه تحت تأثير الألم أو الخوف. لذلك فإن الباري عز وجل يحذر رسوله أن يمارس التبليغ بروح السيطرة والاستعلاء، «فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر».. «سورة الغاشية، الآية 22»..

ولما كانت الأخلاق تتجلى رقة وحنانا واستيعابا للآخرين، فإننا نلاحظ أن الله تعالى يذكر نبيه بالقاعدة الذهبية التي جعلته داعية ناجحا ومقبولا، ويؤكد له أن حيازته على هذه السجية إنما هي بفضل الله وتوفيقه، «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك».. «سورة آل عمران، الآية 159».. وفي هذا الجو المفعم بالأخلاق وطيب القلب والعفو، تحدد علاقتنا بالأشياء والأشخاص، لتكون بأجمعها مشدودة إلى هذه القيم النبيلة، وسائدة في هذا الاتجاه. فالأصل في العلاقة بين بني الإنسان بصرف النظر عن مذاهبهم الأيدلوجية والفكرية، هو الرحمة والإحسان والبر والقسط وتجنب الإيذاء..

فالتسامح وفق المنظور الإسلامي، فضيلة أخلاقية، وضرورة مجتمعية، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها، والسؤال الذي يطرح في هذا السياق هو: ماهي الجذور المعرفية والفكرية لمفهوم التسامح في الرؤية الإسلامية.

وبإمكاننا أن نجيب على هذا السؤال، من خلال النقاط التالية:

1 - يعترف الإسلام في كل انظمته وتشريعاته، بالحقوق الشخصية لكل فرد من افراد المجتمع، ولايجيز أي ممارسة تفضي إلى انتهاك هذه الحقوق والخصوصيات. ولاريب انه يترتب على ذلك على الصعيد الواقعي، الكثير من نقاط الاختلاف بين البشر، ولكن هذا الاختلاف لايؤسس للقطيعة والجفاء والتباعد، وإنما يؤسس للمداراة والتسامح مع المختلف. فالاختلاف بكل صوره وأشكاله، ليس مدعاة أو سببا لسلب الحقوق او نقصانها، وإنما تبقى حقوق الإنسان مصانة وفق مقتضيات التسامح والعدالة..

2 - إن الحقيقة الكاملة والناجزة، لايمكن الوصول إليها دفعة واحدة، وإنما هي بحاجة إلى فعل تراكمي يستفيد من كل العقول والجهود والطاقات الإنسانية. لذلك من الأخطاء الفادحة والقاتلة التعامل مع القناعات الإنسانية بوصفها حقائق جزمية ومطلقة. وذلك لان هذا التعامل، هو الذي يؤسس للدوغمائية التي ترى في قناعتها الحقيقة المطلقة، فتمارس على ضوء ذلك التطرف والتشدد على قاعدة امتلاك الحقيقة المطلقة. وعلى اعتبار اننا كبشر لانمتلك هذه الحقيقة المطلقة، وإنما هي موزعة بين البشر، وتحتاج إلى إنصات وتواصل مستمر بينهم. لذلك فإن التسامح هو الخيار السليم الذي ينبغي أن يتم التعامل به.

3 - إن المنظومة الأخلاقية والسلوكية، التي شرعها الدين الإسلامي من قبيل الرفق والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة والأمانة، وحث المؤمنين على الالتزام بها وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة والعامة، كلها تقتضي الالتزام بمضمون مبدأ التسامح. بمعنى أن تجسيد المنظومة الأخلاقية على المستويين الفردي والاجتماعي، يفضي لامحالة إلى شيوع حالة التسامح في المحيط الاجتماعي. فالرفق يتطلب توطين النفس على التعامل الحضاري مع الآخرين، حتى ولو توافرت أسباب الاختلاف والتمايز معهم. والمداراة تقتضي القبول بالآخر، واليسر والتيسير يتطلبان التعايش مع الآخرين، وحتى ولو اختلفت معهم في القناعات والتوجهات، إذ يقول عز من قائل «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون».. «سورة النحل، الآية 90»..

ومن خلال هذه المنظومة القيمية والأخلاقية، نرى أن المطلوب من الإنسان المسلم دائما وأبدا وفي كل أحواله وأوضاعه، أن يلتزم بمقتضيات التسامح ومتطلبات العدالة.

فالتسامح كسلوك وموقف ليس منة أو دليل ضعف وميوعة في الالتزام بالقيم، بل هي من مقتضيات القيم ومتطلبات الالتزام بالمبادئ. فالغلظة والشدة والعنف في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، هي المناقضة للقيم، وهي المضادة لطبيعة متطلبات الالتزام وهي دليل ضعف وخواء..

وعليه فإن التسامح الذي يقود التعايش والاستقرار الاجتماعي وتطوير أواصر وأسباب التعاون بين مختلف أبناء وشرائح المجتمع، هو من صميم القيم الإسلامية النبيلة، وكل إنسان خالف ذلك، ومارس الغلظة والشدة في علاقاته الإنسانية والاجتماعية لدواعي مختلفة، هو الذي يحتاج إلى مبررات أيدلوجية واجتماعية.. فالأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، أن تكون علاقات قائمة على المحبة والمودة والتآلف، حتى ولو شابتت الأفكار والمواقف، بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورة الالتزام بهذه القيم والمبادئ..

فوحدتنا الاجتماعية والوطنية اليوم، بحاجة إلى غرس قيم ومتطلبات التسامح في فضائنا الاجتماعي والثقافي والسياسي.. كما ان من مقتضيات مواجهة التحديات الكبرى التي تواجهنا إشاعة قيم الحوار والتسامح والمحبة والألفة بين أبناء المجتمع والوطن الواحد..

فالتسامح بما يعني من قيم وسلوك ومواقف هو جسرنا لإعادة تنظيم علاقتنا الداخلية، بما يوفر لنا إمكانية حقيقية وصلبة لمواجهة كل التحديات والصعوبات..

فالتسامح اليوم ليس فضيلة فحسب، بل هو ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية، وذلك من أجل تحصين واقعنا أمام كل المخاطر الزاحفة إلينا، والتي تستهدفنا في وجودنا ومكاسبنا وتطلعاتنا..

ولا شك أن تعميم وغرس هذه القيمة في فضائنا الاجتماعي بحاجة إلى سياج قانوني وإجرائي يحمي هذه القيمة ويوفر لها الإمكانية الحقيقية لكي تستنبت في تربتنا الاجتماعية، وهذا يتطلب منا العناية والالتزام بالأمور التالية:

1 - ضرورة تجريم كل أشكال بث الكراهية والحقد بين أبناء الوطن والمجتمع الواحد.. فاللحظة التاريخية تتطلب منا جميعا القبض على وحدتنا واستقرارنا، وهذا بطبيعة الحال يتطلب الوقوف بحزم ضد كل محاولات بث الفرقة والكراهية والحقد بين أبناء الوطن الواحد..

2 - أن تعتني وسائل الإعلام والتثقيف والتوعية في مجتمعنا بهذه القيمة، ونعمل على تكريسها في خطابها الثقافي والإعلامي، حتى يتوفر المناخ المناسب لكي تكون هذه القيمة، جزءا من نسيجها الثقافي والاجتماعي.

3 - إن المؤسسات والمعاهد والشخصيات الدينية في المجتمع، تتحمل مسؤولية كبرى على هذا الصعيد. لذلك فإن هذه الجهات معنية اليوم بضرورة إشاعة وتعميق متطلبات التسامح في واقعنا الاجتماعي والثقافي والسياسي..

فالمطلوب من هذه المؤسسات والجهات، ليس تبرير وتسويغ أشكال وممارسات الكراهية في المجتمع، بل محاربتها ورفع الغطاء الشرعي عنها، والعمل من مختلف المواقع وعبر مختلف الوسائل لتعميق قيم الحوار والتسامح وصيانة حقوق الإنسان في المجتمع.